ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Researcher: Zainab mahmood awoin
University:University of Wasit
College: College of Arts
Email:
Zainabawayin@gmail.com

Prof. Dr Saad Dahis Naser
University:University of Wasit
College: College of Arts
Email:
Sdahis@uowasit.edu.iq

Keywords: Body language, Novel, Psychological analysis, Psychological crisis

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	12	Dec	2023
Accepted	21	Dec	2023
Available online	1	Jan	2024

"Psychologically Troubled Body Language: A (Psycho-Narrative) Approach in Models of Iraqi Novels."

A B S T R U C T

This research, titled "Psychologically Troubled Body Language: A Psycho-Narrative Approach in Models of Iraqi Novels," explores the ability of body movements to express the various feelings and emotions that stir within individuals based on their psychological state. The psychological impact of events and problems on an individual's mental state is evident, and the challenges and complexities of life negatively reflect on one's personality through certain body movements. These movements illustrate the character's struggles resulting from crises due to a lack of psychological security that the character should ideally experience. The constant feeling of insecurity leads to a fearful, unstable, and hesitant personality, viewing life from a negative and pessimistic perspective. All these aspects are clearly highlighted by the character's body language.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

لغة الجسد المأزوم نفسياً مقاربة (سايكو سرديّة) في نماذج من الرواية العراقية

الباحثة: زينب محمود عوين/ جامعة واسط/ كلية الآداب
أ.د سعد داحس ناصر/جامعة واسط/ كلية الآداب

الملخص:

يتناول البحث الموسوم بـ (لغة الجسد المأزوم نفسياً مقاربة سايكو سرديّة في نماذج من الرواية العراقية) القدرة التي تمتلكها الحركات الصادرة عن الجسد في التعبير عما يختلج في نفس الإنسان من مشاعر وأحاسيس مختلفة، وفقاً للحالة النفسية التي يمر بها، فالحوادث والمشاكل التي يعيشها الإنسان لها أثر واضح في حالته النفسية، كما أن ما يواجهه من صعوبات الحياة وتعقيداتها تنعكس سلباً في شخصيته عن طريق بعض الحركات التي يصدرها جسده، فتوضح هذه الحركات معاناة الشخصيّة من أزمات حدثت بسبب انعدام الأمن النفسي الذي من المفترض أن تشعر به الشخصيّة، والشعور الدائم بعدم الاطمئنان لكل ما يحدث معها، عندئذ تكون الشخصيّة دائمة الخوف، وذات وضع غير مستقر، ومترددة دائماً، وتنظر للحياة بمنظور سلبي وسوداوي، وهذه الأمور كلها تُبرزها لغة جسد الشخصيّة بشكل واضح.

الكلمات المفتاحية: لغة الجسد، الرواية، التحليل السايكولوجي، الأزمة النفسيّة.

ظهرت الشخصيّات المأزومة بأنواعها المختلفة في الرواية بشكل مختلف، وأصبح الاهتمام بها أكثر بعد ظهور علم النفس التحليلي الذي سلط الضوء على هذا النوع من الشخصيّات، واهتم بدراستها، ووضح أهميتها "فقد كان النقاد، قبل فرويد، ينظرون الى هذه الشخصيّات نظرة أخلاقية مقتصرة على التأمل والاستنتاج، أما بعد أن تناولوا هذه الشخصيات بالتحليل النفسي، عند ذلك أرجعوها الى نزعات النفس والتجاوب الباطني مع الحالة" (النعيمي، 2005م، 10)، وهذه الشخصيّات منتشرة بشكل واسع في المجتمع، وتختلف من شخصيّة إلى أخرى بحسب نوع الأزمة التي تعانيها، وبحسب الأسباب التي أوصلتها لهذه الحالة.

إنّ الشخصيّات المأزومة نفسياً تعرضت لحوادث ومواقف أثرت فيها بشكل سلبي، فأوصلتها إلى ما تعانيه، وقد تكون هذه المواقف مرتبطة بالطفولة، وبقيت مكبوتة في النفس وفي ذاكرة الشخصيّة، وكونت لها مجموعة من العقد ظهرت في وقت ووضع معين، وربما كانت الأزمة النفسيّة مرتبطة بحادثة وقعت للشخصيّة في مرحلة ما من حياتها، أو بسبب الوضع السائد الذي تعيشه الشخصيّة الذي يكون تأثيره سلبياً فيها، ويمكن القول إنّ الشخصيّة "ليست نتاجاً للبيئة الحاضرة فقط، وإنما هي نتاج للمواقف الماضية التي تعين على الفرد أن يتوافق معها" (عباس، 1990م، 6)، إذ إنّ للبيئة وللمواقف التي مرت بالشخصيّة التأثير

ذاته في حالتها النفسيّة، الذي من الممكن أن يوصلها إلى إحباط نفسي، أو نكوص، أو اكتئاب، أو يأس، وقد يؤدي بها أحياناً إلى الانتحار.

وقد حاول الروائي تسليط الضوء على هذه الأمور كلها، وتوظيفها في رواياته بهدف معالجة المشاكل المنتشرة في المجتمع؛ ليكون قريباً من القارئ، وتوضيح شعور الشخصيّة في ذهنه وفهم أزماتها النفسية؛ لأن السرد الحديث "قد أخذ بعين الاعتبار انسجام الأحداث والأفعال التي تقوم بها الشخصيّة مع طبيعتها النفسية والمزاجية، وهكذا ظهر المضمون السيكولوجي للشخصية في الأدب والنقد. وذلك بتقديم الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصية" (عزّام، 2005م، 12). أي أنّ الرواية اضطلعت بمهمة جديدة تتمحور حول معالجة المشاكل والأزمات التي يعانيها المجتمع بأساليب مختلفة ومنها توظيف لغة الجسد بالطريقة التي تتناسب مع الشخصيّة وطبيعة عيشها.

وقد ظهرت هذه المشاكل النفسية في رواية (بيت على نهر دجلة) لمهدي عيسى الصقر التي أوصلت (سعيد) إلى أن يفقد عقله، إذ أظهرت لغة الجسد التصرفات المضطربة الصادرة عن الإنسان بعد أن يخوض الحروب، ومشاهدته معاناة الأشخاص الآخرين من حوله: "... رأيت ابني سعيد كان يقف وحده مثل إنسان تائه على مفترق طرق فركضت إليه وأخذته بين ذراعي وقبلته فلم يبد أي رد فعل صحت به انا ساهرة أمك هل نسيتني شوفني زين شوفني وبكيت وتفوهت بكلام لا اتذكره الأن وهززته من كتفيه إلا انه ظل يقف ساكناً يبتسم نائياً بنفسه عني وعن كل ما يجري حوله" (الصقر، 2006م، 49). إنّ سكون (سعيد) وعدم إبدائه أي رد فعل على تصرفات أخته (ساهرة) معه، وشرود ذهنه عن كل ما يجري حوله قد وضح لها أنه شخص غير سوي وغير مستقر ذهنياً ونفسياً، ويختلف عما كان عليه قبل ذهابه للحرب ومكابدته تجربة الأسر، إذ كان يعاني اضطراباً حاداً في الذاكرة، ويتصرف تصرفات خارجة عن السياق الطبيعي؛ بسبب الاضطراب العقلي الذي أصابه؛ لمشاركته في الحرب، ومن ثم تعرضه للأسر، ومعاناته الوضع القاسي في الأسر الذي أوصله إلى فقدان العقل. إنّ الأحداث التي مرت بـ (سعيد) جعلته شخصاً منغلقاً على نفسه وشارد الذهن، ويتصرف بأسلوب يوضح للآخرين حجم المشقة التي كابدها والأزمة النفسية التي كان يعانيها، وقد انعكست هذه الأمور في علاقته مع أفراد عائلته. أما ابتسامته، فهي حركة صدرت عن شخص يعاني خللاً في ذهنه، ويتصرف بطريقة غير طبيعية. إذ إنّ ما كان يشاهده في أثناء الحرب والأسر من مشاهد قاسية أدت دوراً كبيراً في اضطراب سلوكه، وعدم استقرار نفسيته، فصدرت عنه تصرفات أحزنت الآخرين ممن كان يعنيهم أمره وسببت لهم هم أيضاً معاناة نفسية.

بينما جَلَت لغة الجسد في نص آخر من الرواية نفسها حالة (سعيد) بعد أن مرّ بأنواع شتى من التعذيب النفسي والجسدي، وتعرّض لصدمات كبيرة، ورد فعله إزاء ذلك: "جلس الرجل منطوياً على نفسه، رأسه على ركبتيه، ذراعاه تحيطان برأسه. كان يجلس في سكون، دشداشته رثة وممزقة، تكشف عن أجزاء من جسده" (الصقر، 2006م، 86). عبرت لغة جسد (سعيد) عن الوضع الصعب، والحالة المزرية والمشقة التي كابدها عند اعتقاله من السلطة حينما عاد من الأسر، فالجلوس منطوياً على نفسه كان بسبب الخوف الشديد الذي انتابه بعد الذي واجهه في المعتقل، ولذلك حاول الابتعاد عن الجميع والانعزال عنهم بحركة الجسد هذه. أما وضع الرأس على الركبتين وحمايته باليدين، فهي حركة قام بها (سعيد) لحماية جسده وتجنب تعنيفه في هذه الأماكن بعد أن تلقى تعذيباً شديداً من السلطة أكدته الملابس الممزقة والحالة السيئة التي وجدته فيها أخته (ساهرة)، فظن أن التعذيب ما زال مستمراً، فسعى إلى أن يحمي رأسه بيديه. وقد وضح جلوسه في سكون وعدم إصداره أية حركة الاضطرابات النفسية التي عاناها، ورغبته في الانعزال عن العالم المؤذي، والانفراد بالنفس وحمايتها بعد أن تعرض لكثير من الصدمات التي أفقدته عقله.

بينما فسرت لغة الجسد في نص آخر من الرواية نفسها تصرفات (سعيد) التي كانت ناتجة عن صدمات سابقة، وتأثير هذه التصرفات في علاقته مع الآخرين إلى الحد الذي تصبح به تلك العلاقة سيئة جداً وغير مفهومة: "جاء معي الى غرفته. لكن سعيد انكمش على نفسه، ورفع ذراعيه يحمي بهما وجهه ورأسه. تراجع ماجد، ووقف بعيداً ينظر اليه في وجوم" (الصقر، 2006م، 87). إنّ تصرف (سعيد) يشي بالشعور بالرعب؛ بسبب ما حدث معه في السجن، وما مرّ به قبل ذلك من صدمات وحوادث أثناء الحرب والأسر، فجعلته يتخذ موقفاً سلبياً من أي شخص يقترب منه حتى لو كان ذلك من أجل المساعدة، إذ تولدت لديه مخاوف، واضطرابات، ونظرة سلبية اتجاه الجميع، فظن أن كل شخص يصادفه ينوي إيذاءه. إنّ الانكماش على النفس دليل على الفزع من الطرف الآخر، والاعتقاد بأنه قادم من أجل إيذائه وتعذيبه وليس للاطمئنان عليه، و(سعيد) بحمايته وجهه ورأسه باليدين اتخذ موقفاً دفاعياً؛ لأنه كان يتهيأ للدفاع عن نفسه من تدخل الطرف الآخر، أي أنه صار شخصاً مضطرباً، ويعاني أزمة نفسيّة قوية.

فيما أبانت لغة الجسد في نص آخر من الرواية ذاتها الانطواء على الذات من أجل حماية النفس عند الإحساس بالخطر: "عندما يطمئن الى أن الأرض أمينة يجلس على المقعد الجلدي ويخفي كفيه بين فخذيه" (الصقر، 2006م، 89). دلّ إخفاء (سعيد) لكفيه على الشعور بأنه في وضع استجواب من المحقق؛ بسبب خوضه لهذه التجربة من قبل، وظنه أن كل من يقابله ويسأله عن شيء هو محقق حتى الطبيب النفسي؛ بسبب ما عاناه وما تعرض له من السلطة أثناء التحقيق معه لأكثر من مرة. وهي حركة تدلّ على وضع دفاعي أيضاً اتخذه (سعيد) في ذلك الموقف، كان الهدف منه حماية النفس، وإخفاء المعلومات عن الطرف الآخر.

وإنّ ضم اليدين عند التحدث هي حركة توضح الرغبة الملحة من الشخصيّة في الدفاع عن النفس، وحمايتها من أي تصرف قد يصدر عن الشخصيّة ويزعج الطرف الآخر، وكذلك بغية كبت ما قد يختلج بالنفس، كما يمكن أن تُعد حركة إخفاء راحتي اليد عن مرأى الطرف الآخر محاولة متعمدة من الشخصيّة لخداعه أو الكذب عليه (ينظر: عبد الهادي، 2015م، 20، وبوييز، 2023م، 98). إنّ (سعيد) بهذه الحركة عبّر أيضاً عن عدم ثقته بنفسه، وشعوره بالتوتر والقلق من الوضع الذي هو فيه؛ بسبب التجارب السابقة العصيبة، وما تركه هذا الأمر في عقله من أضرار جسيمة.

فيما أبدت لغة الجسد في رواية (سارق العمامة) لشهيد الحالة النفسية المأزومة لـ (أبو نؤاس) بعد التغير المفاجئ الذي حصل معه، وخسارته لكل شيء يملكه حتى عقله: "ما أن هممت بالتوجه إليهما بغية التدخل لفض النزاع حتى انتهى كل شيء سريعاً حيث قام طاهر بدفع أبي نؤاس بقوة فأسقطه أرضاً... أبو نؤاس ممدد على الأرض. تنتابه نوبة بكاء شديدة... يجلس أبو نؤاس القرفصاء ويستمر بالنحيب. نشيجهُ يوحي بمرارة معتّقة" (شهيد، 2017م، 37-38). وضح بكاء (أبو نؤاس) وهو ممدد على الأرض الضعف الجسدي الذي كان يشعر به والألم النفسي الذي كان يعتريه؛ لأنه فقد كل ما يملكه دفعة واحدة، مما جعله فاقداً لقواه الجسدية والعقلية. بينما دلّ جلوسه مقرفصاً على حالة الانطواء التي كان يعيشها، وصراعاته النفسية وشعوره بالخيبة بعد المواقف المؤلمة التي مرت به. وعبّر بكاؤه عن الحزن الكبير الذي سيطر عليه، وكذلك كان دليلاً على جزعه؛ بسبب الوضع السيء الذي وصل إليه. إنّ التغير المفاجئ والكبير في وضع (أبو نؤاس) الذي نقله من حال إلى حال أدى إلى تأزم في حالته النفسية، وصار يعاني خللاً في عقله، واضطرابات نفسيّة، وأفكاراً حزينة، وهواجس مقلقة. ولم يكن (أبو نؤاس) يبكي من تصرف الطرف الآخر معه بهذه الطريقة بل كان يبكي مما حدث معه في الماضي وأوصله إلى الحالة التي هو فيها، إذ إنّ هذا الموقف حرك في ذهنه الذكريات المتعلقة بحياته الماضية مع أفراد عائلته التي بقيت معلقة في ذاكرته.

وأفصحت لغة الجسد في نص آخر من الرواية نفسها عن حالة الانهيار التي تصيب الأشخاص بعد مرورهم بحوادث تفوق قدرة تحملهم، فتؤدي إلى هروبهم باتجاه الخيال بعيداً عن الواقع العصيب: "يتمدد على فراشه العتيق ويصوّب بصره إلى سقف الغرفة ثم يبدأ حديثه بالانسياب. يتكلم بطريقة غريبة وكأنه يناجي نفسه" (شهيد، 2017م، 82). كشف نظر (أبو نؤاس) إلى سقف الغرفة عن حالة الشرود الذهني التي هو فيها، وتوقعه حدوث شيء ما، إذ ينفصل عن وضعه الحالي، ويعيش في تخيلاته ورؤاه، وقد دلّت هذه الحركة كذلك على أمر خاص به، مرتبط بأحداث ماضية من حياته. فيما عبّر حواره مع نفسه عن الوضع السيء الذي يعانيه والذي انتهى به إلى مرحلة الهذيان أو ما يعرف بـالاختلاط الذهني (Confusion mentale)؛ لتعلق فكره بحادثة معينة حدثت في ماضيه، وهو بحواره مع نفسه يحاول الابتعاد عن حقيقة ما

حدث معه في ذلك الماضي، مما جعله يسعى إلى الخيال والعيش فيه؛ لأنه – كما كان يظن- آمن له من الواقع المرير.

وأبرزت لغة الجسد في نص آخر من الرواية ذاتها الإحساس الأول والغريب الذي يستحوذ على الإنسان عند اقترابه من الأشخاص غير الأسوياء ومراقبة تصرفاتهم: "أتذكر خطواتي الأولى في ذلك المكان. عدّة أشخاص حليقي الرؤوس يسندون ظهورهم إلى الجدار واضعين أيديهم على ركبهم. لم يلتفت أحدهم إليّ" (شهيد، 2017م، 125). عبرت لغة جسد الأشخاص عن وضعهم النفسي المأزوم، وحالتهم العقلية غير المستقرة، وما كانوا يعانوه من ضيق في مستشفى الأمراض العقلية. إنّ هذه الحركات صدرت عن أشخاص غير سليمين ذهنياً وفاقدين لعقولهم وهم لاهين في عالمهم الخاص، ويعيشون فيه بوضع منفصل عن عالمنا، غير معنين بما يحصل به أو بالآخرين من حولهم. أما عدم التفاتهم للزائر الغريب، فهو دليل على عدم الاكتراث لوجوده واللامبالاة اتجاهه، ولكونهم جميعاً يمثلون الشريحة ذاتها، المتشابهة في التصرفات غير الواعية وفي التماثل بالاضطرابات العقلية.

وقد أظهرت لغة الجسد بعض التصرفات غير الطبيعية التي تنطلق من الأشخاص غير الأسوياء في المجتمع، كما في رواية (فسحة للجنون) لسعد محمد رحيم: "وقف وسط الساحة.. دخّن آخر سيجارة.. ضرب بعصاه على الإسفلت، ومضى بخطوات سريعة باتجاه البلدة (ب)" (رحيم، 2018م، 192). أشار وقوف (عامر) وسط ساحة المدينة الخالية من السكان؛ بسبب هجرتهم منها لنشوب الحرب، إلى تصرفات غريبة تصدر عن شخص مضطرب وفاقد للعقل. لقد وقف (عامر) بهذه الطريقة الغريبة؛ لأنه لم يكن يمتلك أية فكرة عما يريد فعله، فلم يكن يشعر بالخطر المحدق به؛ بسبب تعرضه للتعذيب من السلطة الذي أفقده عقله. أما تدخينه للسجائر، فهي عادة سيئة اكتسبها بعد جنونه. وأما ضربه بالعصا على الأسفلت وسيره بخطوات سريعة فكانت تدلّ على أنه شخص كان يأخذ قراراته باندفاع ومن غير تفكير. وقد يؤدي الشخص في بعض الأحيان حركات غريبة باليدين والذراعين وهذه الحركات تكون متناقضة مع الظروف المحيطة بالشخص وغير متوافقة مع بقية حركات الجسم، وهي دليل على أن الشخص يعاني مرضاً أو مصاباً باضطراب عقلي يؤثر فيه (ينظر: نافارو، 143). وهذه الحركات وضحت عدم توازن (عامر) في أفعاله والتخبط في تصرفاته.

بينما وضحت لغة الجسد ما تفعله الحروب من تدميرٍ للحالة النفسية، وردود أفعال الناس الخارجة عن السيطرة على ذلك، كما في رواية (سيدات زحل) للطفية الدليمي: "تبول أحدهم على وسام النصر الذي منحه إياه القائد العام للقوات المسلحة وألقاه في النار مع ثيابه المدماة، وأطلق ضحكة هيستيرية ولطم جبينه بالجدار

مرات حتى نفر الدم من بين عينيه" (الدليمي، 2015م، 96). أفصح وضع الجندي غير الطبيعي عن اللامبالاة بالأشياء المهمة وذات القيمة المعنوية؛ بسبب الحرب وتأثيرها السلبي في النفوس. إنّ هذه الجائزة أو الوسام كان فيما سبق يُعلق في الصدور، ومن ثم أصبح في مكان أو وضع مرذول، بحسب رؤية الجندي من الأحداث والواقع المزري. فيما أشار ضحكه الهستيري إلى وضعه المأزوم والصراع النفسي الذي يعيشه تحت ضغط الأحداث التي تقع أمام عينيه جراء الحرب، فصار في وضع نفسي صعب، ولا يصدق ما يحدث، ولا يستوعب ما جرى للبلد. أما لطم الجبين بالجدار، فدليل على شدة الصدمة التي تلقاها الجندي التي جعلته يعاني اضطراباً عقلياً حاداً، وصعوبة في التعبير عن مكنونات النفس وصراعاتها، مما أوصله إلى مرحلة إيذاء النفس، وعدم السيطرة على تصرفاته.

فيما كشفت لغة الجسد في رواية (نافذة العنكبوت) لشاكر نوري عن الطرق التي تُتبع لمعاقبة النفس التي تصل إلى محاولة الانتحار؛ بسبب ما يعانيه من أزمات سببت له عقداً نفسية يصعب عليه تخطيها: "فوضع فوهة البندقية الى بطنه في محاولة لبّقرها على الأقل، وبعد أن فشل في ذلك، وجّه فوهتها صوب الأرض واتكأ عليها، كشيخ واهن يتكئ على عصا. متخيلاً انطلاق الرصاصة من مغارة البندقية لتستقر في قلبه" (نوري، 2000م، 27). بينت لغة جسد (عبد الرحمن) - عن طريق محاولة الانتحار (Suicide)- الوضع الصعب الذي كان يعانيه، والمشاكل الصحية التي أثرت في حالته النفسيّة، وجعلته يعاني صراعاً مستمراً أوصله في نهاية المطاف إلى محاولة إنهاء حياته؛ وذلك لمعاقبة النفس وإيذائها، والتخلص من الألم النفسي الذي كان يحاصره؛ بسبب ضعف جسده ومعاناته لمدة زمنية طويلة، فضلاً عما تركته الحروب المتتالية من أذىٍ نفسي وجسدي فيه. إنّ محاولة الانتحار ما هي إلا طريقة اتبعها (عبد الرحمن) بعد معاناته من الكبت، وإحساسه بمرارة الخيبة، وصعوبة مواجهة الحقيقة للتخلص من الواقع الصعب والهروب منه، إذ إنّ الحرب أثرت تأثيراً سلبياً فيه، مما حدا به إلى أن يفكر بالانتحار ووضع حدٍ لحياته البائسة، والتخلص من عبء الحياة التي أثقلت كاهله.

فيما أبانت لغة الجسد تأثير الانتقال المفاجئ من بلد إلى آخر على وضع المرأة النفسي، إذ يجبرها هذا الأمر على ترك كل شيء خلفها تلبيةً لرغبة الزوج، كما في رواية (النقطة الأبعد) لدُنى طالب: "أقول أعض يدي، شفتي، ألتهم أظافري، أدور ببيتي... بفراغي؟ أهرب من أحاسيس كثيرة يصعب عليّ تحديدها؟ أدخل الحمام، أغسل وجهي دون النظر بالمرآة" (طالب، 2000م، 126). بينت لغة الجسد الحالة النفسية المضطربة والوضع الذهني المشتت الذي تعانيه الشخصيّة؛ لترددها بالرحيل مع زوجها إلى الغرب، وخوفها من هذه الفكرة برمتها؛ لصعوبة تكوين حياة جديدة مختلفة كلياً عن طبيعة حياتها التي تعيشها في بلدها، إذ إنّ الشخصيّة شعرت بالرهبة من الرحيل، وقلقت من تغير كل شيء في حياتها، ولم تقبل هذه الخطوة، فأثرت

في حالتها النفسيّة. إنّ حركتي عض اليد والشفة دليل على توترها الكبير واضطرابها الحاد، وقد استعملت الشخصيّة تلك الحركتين وسيلة لتهدئة قلقها؛ لأن عض الشفاه حركة تستعمل لتهدئة القلق عند الأشخاص المتوترين أو الذين لديهم مخاوف، وقد يعض بعض الأشخاص شفاههم عند الغضب بوصفه وسيلة لضبط النفس (ينظر: نافارو، 2021م، 70). أما قضم الشخصيّة لأظافرها، فقد أكدّ الحيرة والضياع الذي تعيشه، والتوجس من عدم قدرتها على العودة، وصعوبة أن تبقى في الغرب بعيدة عن الأهل والوطن؛ لأن هذا التغير الكلي والمفاجئ يجعلها قلقة، فعبرت عنه بقضم الأظافر للتخفيف من قلقها. ويرى المختصون في لغة الجسد أن هذا السلوك وسيلة لتخفيف التوتر والقلق، ويشير بشكل عام إلى القلق أو انعدام الثقة أو انعدام الأمان، وإنّ الشخص عند تعرضه لضغط شديد يميل إلى قضم أظافره (ينظر: نافارو، 2021م، 134، ونافارو، وكارلينز، 2010م، 157). أما دورانها في البيت وعدم قدرتها على الاستقرار على حالة معينة، فهو دليل على الشعور بالتشتت والتيهان من مواجهة هذا الأمر المفاجئ الذي لم تكن تتوقعه. بينما أكد عدم نظر الشخصيّة إلى وجهها في المرأة صعوبة مواجهة النفس وهي تشعر بالانكسار، ودلّ على حالتها النفسية المتردية التي تجعلها تهرب من مواجهة حقيقتها؛ لضغط الزوج عليها في موضوع الرحيل وعدم احترام رأيها فيه.

بينما كشفت لغة الجسد في نص آخر من الرواية ذاتها عن التصرفات غير الواعية التي تصدر عن الإنسان، وعدم السيطرة على النفس عند الإحساس بالذنب، فيتصرف تصرفات تؤكد غياب العقل وانزواء الاتزان: "وجد نفسه يتوسط سطح الدار المكشوف. يتأمل كرنفال الحلفاء. يدور حول نفسه ليتتبع مساقط الصواريخ بصدر مفتوح للريح الشتائية الباردة... ضم ساقيه وسحبها إلى صدره ليضع راسه على ركبتيه... نهض ليقف منتصف السطح المكشوف... وقف ليتحمل مسؤولية بقائها وحيدة مع الطفلين في هذه الليلة.
... تحدَّ هستيري لامع.
رفع يديه عالياً، يشير إليهم... صرخ هو بالسماء التي تلونت لتكون معهم، وهو يعي تماماً جنونه" (طالب، 2000م، 161-162). أشار دوران (خالد) حول نفسه - في وقت تتعرض فيه البلاد لقصف الطائرات- إلى تصرفات غير واعية تصدر عن شخص يعاني حالة نفسية وذهنية غير مستقرة، ولا يهتم بوقوع الأذى على النفس، إذ أكّد ضمه لساقيه ووضع رأسه على ركبتيه الخذلان الذي كان يشعر به؛ لتركه زوجته وطفليه وحدهما في هذا الوضع الصعب، فانعكس ذلك في حالته النفسيّة، بعد أن اتخذ قراراً خاطئاً في لحظة ضعف وانفعال. إذ إنّ رفع الركبتين والجلوس في وضعية الجنين صامتاً يُعد سلوكاً يستعمله الإنسان للتعامل مع التوتر النفسي الشديد، وتُشاهد هذه الحركة أحياناً عند حدوث خلافات حادة بين الأزواج، فتظهر هذه الحركة على جسد أحد الشريكين (ينظر: نافارو، 2021م، 153). أما وقوفه وسط السطح وتعريض نفسه للأذى

المُحتمل، فهو دليل على الإحساس بالذنب ومحاولة إيذاء النفس عن طريق تعريضها لخطر قصف الطائرات. فيما بيّن تلويح (خالد) بيديه إلى الطائرات وضعه المضطرب والهستيري الذي يعيشه ويعانيه، فهو يرغب بمعاقبة نفسه لتقصيره بحق أسرته، فرغب في التخلص من هذا العبء الكبير الذي لم يعد يطيقه بالسعي لإنهاء حياته بهذه الطريقة الجنونية. بينما دلّ صراخه على شعوره بالألم الكبير، إذ لم يعد عقله يحتمل التفكير في وضع الأسرة البعيدة عنه، وكيف سيواجهون القصف، وما يجري في البلاد لوحدهم.

وأوضحت لغة الجسد أهمية دور الأب ووجوده بين أفراد الأسرة، وتأثير فقدانه في حالتهم النفسية وفي علاقتهم بالآخرين من حولهم، كما في رواية (حديقة حياة) للطفية الدليمي: "ميساء تلهث وتصم أذنيها وهي تحدق بعينيها في الفراغ هاربة من ملاحقة الأصوات لها.. أبي .. أبي" (الدليمي، 2004م، 6) عبّر لهاث (ميساء) عن الاضطراب وعدم الاستقرار؛ لإحساسها بالوحدة. فيما دلّ إغلاقها لأذنيها سعيها إلى تجنب سماع أصوات الآخرين التي تلاحقها؛ وذلك لتعرضها لصدمة نفسية بعد أن فقدت والدها وصعوبة تقبلها هذا الأمر، فعانت مما يعرف باجترار الأفكار (Mentisme). ودلّ تحديقها في الفراغ على تذكرها لوالدها الذي غيبته الحروب الطاحنة، ورغبتها في الابتعاد عمّا حولها، وعدم سماع الأصوات الأخرى، حيث أدى فقدانها لوالدها - وهي في سن صغيرة- إلى حدوث فجوة في حياتها تسببت لها بعقدة نفسية بقيت تلازمها ولم تتخلص منها، إذ كانت تعاني صراعاً نفسياً داخلياً أثر كثيراً في استمرار حياتها بصورة طبيعية مع الأشخاص الآخرين القريبين منها.

وقد كشفت لغة الجسد عن تأثير المشاكل والأزمات في حياة الأشخاص؛ بسبب الظروف القاسية التي عانوها في بلادهم، كما في رواية (عندما تستيقظ الرائحة) لدُنى غالي: "هل شعرت بأنك لم تكن مخيراً في قرارك، هل شعرت بالعجز؟ هل تشعر بالعجز؟

لا يجيب. يصمت فترة. يفرك لحيته وجبهته" (غالي، 2006م، 75). عبرت لغة الجسد - عن طريق الحوار مع الطبيبة النفسية والصمت وعدم الرد على أسئلتها- عن الحيرة والاضطراب الذي يعانيه (رضا)؛ بسبب المواقف التي واجهها في حياته عندما كان في بلاده وخوضه للحروب المتعددة، ووجوده في جبهات القتال، وما كان يراه من مشاهد قاسية، ومغادرته البلاد وانفصاله عن زوجته. إنّ هذه الأمور كلها جعلت (رضا) يعاني أزمة نفسية قوية، ويتجنب الرد على أسئلة الطبيبة، ولم يرغب في خوض نقاش معها في أي شيء يخصه، أو أن يخبرها بما كان يعانيه. أما فركه للحيته وجبهته، فقد دلّ على القلق من السؤال الموجه له، والانشغال به، وصعوبة الرد عليه. إنّ فرك الجبهة دليل على القلق أو إنّ الشخص يعاني شيئاً ما، وقد يدلّ لمس الوجنتين أو الوجه على الشعور بالقلق، أو الانزعاج، أو إخفاء الهموم، كما أن تمرير الشخص يده على الذقن ببطء دليل على أنه يقوم بعملية تقييم ومراجعة لما يقال، كما يُعد تمسيد اللحية حركة فعالة في تهدئة

القلق، وهي دليل على وجود مشكلة ما لدى الشخص (ينظر: نافارو، وكارلينز، 2010م، 50-51، وبوبيز، 2023م، 103، ونافارو، 2021م، 88). وقد أراد (رضا) إخفاء مشاعره السلبية وعقده النفسية عن الطبيبة، وعدم مشاركتها تلك العقد، في الوقت الذي يفكر فيه بالإجابة على الأسئلة الصعبة التي وُجهت إليه؛ والتي عدها خاصة به وبحياته، وتُخرِج أزمته النفسية للعلن بعدما كانت مخبوءة في أغوار النفس، فقد كان يرى أن الطبيبة غريبة عنه، وبعيدة عن مشاكله الخاصة ولا يريد أن يشاركها ذلك، فظهر التوتر الذي يشعر به والقلق الذي انتابه في لغة جسده.

وقد أفصحت لغة الجسد في نص آخر من الرواية نفسها عما يمكن أن تسببه الحروب من أذى في الأشخاص مسببةً لهم العقد النفسية القوية التي تؤثر بدورها في حياة الآخرين: "يضرب بيده الجدار بقوة. ينهال عليَّ بسيلٍ من الاتهامات المستهلكة من قبل ألسنة المفرغين من المقيمين هنا. لم يخطر ببالي أن تأتي على لسانه هو رضا" (غالي، 2006م، 127). وضح ضرب الجدار بقوة حالة الغضب الشديد الذي يشعر به (رضا)، وعدم تقبل ما يحدث معه، والرفض التام له. وضرب الجدار هي طريقته في إفراغ غضبه، فقد كان يشعر بالانفعال، وموجة من المشاعر السلبية اتجاه الطرف الآخر، يجد صعوبة في التعبير عنها وإيصالها إلى الطرف الآخر؛ ولذلك استعمل ضرب الجدار لتفريغ هذا الانفعال. أما طريقته في الكلام واستعماله لعبارات سيئة، وتوجيهه اتهامات مستهلكة إلى الطرف الآخر، فقد كان بسبب القرار الذي اتخذه الآخر، وتأثير ذلك القرار في (رضا) بشكل سلبي، فقد كان (رضا) يعاني اضطرابات وأزمات نفسية تطورت وتعقدت، فأنتجت موجة من الغضب الشديد. إنّ توجيه الاتهامات للطرف الأخر وتبرئة النفس، إنما هو دليل على عجز (رضا) عن أن يواجه مخاوفه وظروفه السيئة، فحاول بأية وسيلة اتهام الآخرين وانتقادهم ووضع اللوم عليهم؛ لأنه كان يعاني مما يعرف بـالإسقاط (Projection)؛ وذلك لوجود عقد نفسية قديمة مؤثرة في حاضره، وفي حياته مع أفراد أسرته بشكل خاص، فصار شخصاً متهوراً لا يتمالك نفسه أمام الآخرين عند تعلق الأمر بالحديث معه في حالته النفسية.

وبينت لغة الجسد في نص آخر من الرواية نفسها الحالة المضطربة وغير المستقرة التي يصاب بها الإنسان المأزوم، وتردده المستمر في اتخاذ القرار المناسب: "أبقى مرابطة قرب الهاتف ليلة كاملة قبل أن أتجرأ وأتصل بها على الرقم الذي حصلت عليه من رضا. اتصبب عرقاً وترتجف يدي بشدة وأنا أمسك بالهاتف. أبكي وأنا أغلق الخط. ليس صوتها فقط وتسلسل الحديث، بل لأنها تقول وهي ترفع السماعة معرّفة نفسها ((هيلينا))" (غالي، 2006م، 221). أشار تردد الشخصيّة في الاتصال إلى الخوف من المواجهة، التي قد تكون غير متوقعة - فيما يتعلق باستمرار علاقتها بصديقتها- وما الذي سيؤول إليه هذا الاتصال، وعدم امتلاكها الجرأة اللازمة لفعل ما ترغب به. أما تصببها العرق، فقد دلّ على توترها الشديد مما يمكن أن

يحدث لو قامت بالاتصال، ولم تحسم الأمر لصالحها، وهذا الأمر جعل حالتها النفسية غير مستقرة. فيما عبّر ارتجاف يديها عن قلقها والخوف من تلقي الصدمة من صديقتها، وتغيرها المفاجئ الذي علمت به من زوجها، فالشخصيّة كانت مترددة في الاتصال؛ خوفاً من اكتشاف حقيقة الأمر. وتُعد حركة ارتعاش اليدين دليل على قلق الشخصيّة أو خوفها (نافارو، 2021م، 159). وقد فسر بكاؤها حزنها الشديد على صديقتها، وما حصل بينهما عبّر الهاتف، وما شعرت به من تغيّر كبير طرأ عليها حتى في لفظ اسمها، فصارت الشخصيّة في حالة صدمة وغير مصدقة لما يحدث، وحاولت في بكائها أن تعترض على هذا التغيّر المفاجئ في حالة الصديقة.

بينما أبانت لغة الجسد ما يمكن أن يفعله الكتمان من تدمير في الحالة النفسيّة، ونتائجه السلبية في حياة الإنسان، وفي تصرفاته التي تكون غير متوقعة، كما في رواية (تمر الأصابع) لمحسن الرملي: "دفعتُ بالسماعة الى أبي ورحت أراقبه. كانت كفه ترتجف وشفتاه تختلجان. وبعد لحظات انتظار قصيرة، انفجر بصوت عال ومخنوق: لماذا؟.. ثم سرعان ما تدفق الصراخ الرهيب حد قشعريرة الجسد..." (الرملي، 2015م، 165). أكدَّ ارتجاف يد الأب الشعور بالتوتر، والقلق الذي لازمه؛ لما هو مقبل على فعله ومتردد فيه في الوقت ذاته؛ لتعلقه بفعل ماضٍ خدش كرامته. أما تحرك شفاهه بصورة غير منتظمة ومضطربة، فدليل على التردد في مواجهة الأمر في هذا الوقت، وصعوبة أن يبوح بما في داخل النفس من صراعات حملها الأب معه منذ فترة طويلة أثرت في حالته النفسيّة كثيراً. بينما عبّر صراخه بصوتٍ عالٍ مرّة ومخنوق مرّة ثانية عن حجم ألمه النفسي الذي كان يحمله ويكتمه في داخله لسنوات طويلة، أراد أن يزيحه عن نفسه بالصراخ بالطرف الآخر عبر الهاتف. أما تغير نبرة الصوت، فكان بسبب التأثر في الموقف الذي كشف الشعور السيء والسلبي الذي حاول الأب كبته لعدة سنوات وبقي في داخل النفس، ولم يستطع مواجهته إلا في هذا الموقف، فأندفع الأب صارخاً في الطرف الآخر معبراً عن معاناته والآمه بلغة جسده ونبرة صوته.

وقد فسرت لغة الجسد حالة الانقسام الذي تعيشه المرأة بين أمرين مختلفين يسببان لها أزمة نفسية وترددا في اتخاذ القرار المناسب، كما في رواية (الحفيدة الأميركية) لإنعام كجه جي: "مشت أمي مبتعدة عنّا كمن تسير في جنازة. وجلست ملمومة على نفسها تحتضن حقيبتها اليدويّة وكأنها تتستّر على شيء ما في داخلها، وبدأت ترمق شزراً جيرانها في الصفوف الأماميّة والخلفيّة، أولئك الذين لا تسعهم الفرحة بحلول موعد تجنيسهم" (كجه جي، 2009م، 28). دلّ ابتعاد الشخصيّة عن الجميع على تبرئة نفسها مما يحدث؛ وذلك لعدم تقبلها نفسياً للواقع الذي تعيشه، والإحساس بالذنب الذي لازمها في هذا الموقف. بينما أشار جلوسها منكمشة على نفسها إلى شعورها بالتوتر والألم والحزن مما يحدث أمامها، فأدى بها ذلك إلى النكوص. ويمكن عد حركة جلوس الشخص ضاماً قدميه أو ركبتيه دليلاً على شعوره بالقلق والتوتر (ينظر: عكاشة،

2016م، 44). فيما وضح احتضانها لحقيبتها انعدام الشعور بالأمان الذي افتقدته منذ أن غادرت بلادها مجبرة. إنّ وضع أي شيء أمام الجسد واستعماله حاجزاً بين الجسد والآخرين، ما هو إلا وسيلة لحماية النفس عند الشعور بالقلق، أو التهديد، أو الشعور بخطرٍ قريب (ينظر: نافارو، وكارلينز، 2010م، 105). بينما عبرت الشخصيّة - بالنظر شزراً إلى الآخرين- عن عدم الرضا والسخط عليهم؛ لما يصدر عنهم من أفعال تُعد في نظرها خيانة للبلد. والنظر شزراً للآخرين هو دليل على القلق الذي تشعر به الشخصيّة في داخلها، وتحاول أن تعبر عنه بوساطة التحديق، أو هو دليل على الشك أو الاحجام أو التجاهل أو الازدراء (ينظر: نافارو، وكارلينز، 2010م، 182، ونافارو، 2021م، 39). إنّ الشخصيّة في هذا الموقف كانت تعيش شعور الحنين، والانتماء الى الوطن الذي تركته، في الوقت الذي ترفض فيه فكرة الانتماء إلى بلد آخر وحمل جنسيته، وهي في هذا الوضع تعيش صراعاً نفسياً بين أمرين:

- الأول: اختيارها لبلدها الذي عاشت فيه وتركته، وقد عانت فيه شتى أنواع العذاب والألم ومن ثم أُجبرت على مغادرته.
- الثاني: محاولة الاستقرار في البلد الآخر الذي ظنت أنه سيحتضنها وسيقدم لها المساعدة والأمن.

وقد وضحت حركات جسد الأم الحيرة والتردد الذي تشعر به؛ بسبب صعوبة الاختيار بين أحد الأمرين، فشعرت بالضياع في هذا الموقف.

وقد أظهرت لغة الجسد الألم والصدمة الكبيرة التي تعيشها الأم عندما تفقد أحد أطفالها، وهو الأمر الذي قد يوصلها إلى مرحلة إيذاء النفس، كما في رواية (خلف السدة) لعبد الله صخي: "لكن الطفل مات بعد أسابيع. أطلقت صرخة عالية فزع لها الجيران، لطمت خديها وصدرها وشقت زيقها. ثم وهي تزيح فوطتها لتدفن شعرها بالتراب خلعت قرطها بأصابعها المتوترة فخرمت أذنها وسال الدم إلى عنقها" (صخي، 2008م، 15-16). كشف صراخ الأم بصوتٍ عالٍ عن الألم الشديد، والصدمة القوية التي تعرضت لها بفقدانها لطفلها، إذ إنّ الشخصيّة لم تستطع كبت حزنها الكبير بفقدانها للطفل الثالث، بعد أن فقدت من قبله طفلين، فجاء الصوت عالياً جداً وأفزع الجيران، بينما دلّ ضربها لخديها وتمزيقها لثيابها على الحزن المتكرر، وشدة الفاجعة التي حلت بها، وهي بهذه الحركات تعبر عن الألم النفسي الكبير الذي يجتاحها، فرغبت بإيذاء نفسها، فيما عبّر خلعها لقرطيها وجرحها لأذنها عن حالة من اللاوعي التي كانت تعيشها الشخصيّة، بعد فقدانها المتوالي لأطفالها مما شكل لها أزمة نفسية حادة، تسببت في حدوث صدمة قوية أثرت فيها، واستمرار معاناتها وهي تفقد أطفالها بعد مدة قصيرة من ولادتهم. إنّ خلع القرطين يدلّ على ترك

الزينة، وإشهار الحزن، أما خلعهما بطريقة عنيفة أدت إلى إصابة الأذن بأذى، فهو يعبر عن جزعها بفقدان أطفالها، إذ تحول هذا الجزع إلى نمط سلوكي مضطرب يسمى (إيذاء النفس غير الانتحاري).

فيما أبانت لغة الجسد المعاناة المستمرة للأشخاص لوقت طويل، وما تتركه من آثارٍ تعود على الحالة النفسية بمردودات سلبية، كما في رواية (منازل الوحشة) لدُنى غالي: "أشمّ انفعاله في عرقه. يشبك يديه حول عنقي ويضمّني إليه ويقول بصوت مدفون إنه الطفل الذي سيموت في النهاية" (غالي، 2013م، 104). بينت لغة جسد (سلوان) - عن طريق احتضانه لوالدته- حالتي الاضطراب والذعر اللتين يشعر بهما، والوضع النفسي المتأرجح، وغير المستقر الذي يعيشه، إذ بقيت حالة (سلوان) متذبذبة ولا تستقر على حال، لينعكس ذلك سلباً في حياته. فيما وضح التحدث مع والدته واحتضانه لها خوفه وحالة اليأس التي وصل إليها؛ بسبب معاناته من اضطرابات نفسية وعصبية أدت به إلى أن ينصرف عن ممارسة حياته بشكل طبيعي والانزواء عن كل شيء حوله. إنّ ضغوطات الحاضر التي مرت بـ (سلوان) تدعوه إلى الارتداد للماضي، وهي حالة نفسية تعرف بالحنين أو الشوق إلى الماضي (Nostalgia)، وتؤكد الرغبة في الرجوع إلى مرحلة الطفولة وحالة الانعتاق من الحاضر الضاغط. وعلى الرغم من وصول (سلوان) إلى سن الشباب، فإنّه كان يتمنى العيش في مرحلة الطفولة، ويرغب في العودة إليها بشدة؛ لأنها كانت خالية من الصراعات النفسية والهواجس والأفكار التي يعيشها في شبابه.

بينما كشفت لغة الجسد عن المعاناة المستمرة لمن عاشوا طفولة سيئة انعكست في حياتهم في قابل الأيام، وسببت لهم اضطرابات نفسية حادة بقيت آثارها تلاحقهم لسنوات طويلة، كما في رواية (ريام وكفى) لهدية حسين: "أعود للسرير وأدفن رأسي تحت الوسادة، ثم، بعد وقت لا أدريه أسقط في نوم مضطرب تتناهشه الكوابيس" (حسين، 2014م، 95). عبرت الشخصيّة بدفنها لرأسها تحت الوسادة عن أملها في التخلص مما يؤرقها دفعة واحدة، وهي بإخفائها رأسها أرادت الهروب مما حدث لها، ومن العبء والوضع المضطرب الذي تعيشه في حاضرها، والوقت العصيب الذي تمرُ به في يومها. بينما دلّ اضطراب النوم ورؤية الكوابيس على شخصيّة تعاني أزمة نفسية لها صلة بماضيها، ومرتبطة بأحداث وقعت في طفولتها، وبقيت مؤثرة بشكل سلبي وكبير في حاضرها، فصارت تشعر بالقلق الدائم، والاضطراب، وعدم الاستقرار أثناء النوم؛ وذلك بسبب خفايا مكبوتة في داخل النفس لم تكن معلنة، وعيشها أحداث سيئة كثيرة في وقت مبكر من عمرها، بقيت تؤثر في واقعها وحياتها اليومية، فالوضع الأسري السيء الذي كانت تعيشه الشخصيّة كان سبباً أساسياً في تردي حالتها النفسية، وكان له الأثر الكبير في تشكيل عقدة نفسية بقيت تعانيها في حياتها بشكل مستمر.

فيما فسرت لغة الجسد حالة القلق، والوضع الصعب الذي يكون فيه الشخص عندما يُخير بين واجبه، وبين ما يُطلب منه، ولاسيما حينما يكون المطلوب مخالفاً للمبادئ التي يؤمن بها، كما في رواية (الانهيار) لرسلي المالكي: "لا يهم. المهم الان أن تجري عملية التشريح كعمل روتيني حتى امام الحكومة. وتخرج بتقرير طبي يعكس شفافيتنا بالتعامل مع القضية لتؤكد فيه وفاة المختار بشكل طبيعي. سمعتك الدولية ستسهل تقبل المجتمع الدولي للتقرير الذي ستصدره.

أطبق الصمت على البروفيسور جرجيس الذي وجد نفسه فجأة وسط دوامة معقدة من الأحداث، مسح شعره بكفه ناظراً الى اللواء" (المالكي، 2015م، 115). أوضح البروفيسور- عن طريق مسح الشعر باليد والنظر إلى اللواء- الشعور بالتردد والتوجس مما يحصل، وكذلك التفكير بالوضع الصعب الذي وُضع فيه من الطرف الآخر، وما طُلب منه، فجعله في حيرة من أمره. إنّ اللعب بالشعر أو تمرير الأصابع عليه هو سلوك يستعمل لتهدئة القلق، وقد تظهر هذه الحركة عند مواجهة معضلة، أو إنّ المشكلة التي تواجه الشخصيّة معقدة، والتفكير في كيفية إيجاد حلٍ لها، كما إنّ تمرير الأصابع في الشعر قد يدلّ على توتر الشخصيّة أو شكها أو معارضتها، وهي حركة تستعمل لتهدئة النفس؛ لأن الأشخاص المتوترين يميلون إلى لمس أجزاء من الجسم بشكل أكثر تكراراً من غيرها وهي الرأس والشعر والوجه (ينظر: نافارو، وكارلينز، 2010م، 55، ونافارو، 2021م، 14، وبوييز، 2023م، 116). إنّ البروفيسور كان يعاني صراعاً داخلياً نفسياً وذهنياً، بعدما طلبت السلطة منه شيئاً منافياً لواجبات مهنته التي أدى عليها القسم، وهو تزييف الحقيقة المتعلقة بوفاة الرئيس أو تُجبره على ذلك باستعمال الضغط النفسي للموافقة؛ بحجة مصلحة الدولة والحفاظ على أمنها وسلامتها، فعاش بين الأمرين المتناقضين بحيرة وقلق، ووضحت حركات جسده حجم توتره من المشكلة المعقدة، والتفكير في الخروج منها.

فيما بينت لغة الجسد سيطرة اليأس على بعض الأشخاص، فيقررون معه وضع حد لحياتهم؛ بسبب ما كانوا يعانوه من أوضاع عسيرة كان لها تأثير مأساوي في حياتهم، أوصلتهم إلى مراحل نفسيّة صعبة منها الاكتئاب، كما في رواية (الكافرة) لعلي بدر: "وقفت عند المغسلة، نظرت في وجهها، في المرآة.. فتحت صنبور الماء. مسحتْ شفرة الحلاقة بيدها. رمت الورقة التي كانت تلفّ الشفرة في المزبلة. وضعت الشفرة على رسغها. كان الوقت ينساب، ويسيل الدم. دم أحمر فاتح، أخذ يلطّخ كل ما في طريقه" (بدر، 2015م، 81). دلّ نظر الشخصيّة في المرآة على محاولة منها لمواجهة نفسها، وألقاء نظرة عليها، وهي تستعد لإيذائها، وأرادت أن ترى وجهها للمرة الأخيرة وهي تتخذ قرار الانتحار، بينما كشف وضع الشفرة على الرسغ، وقطع الشريان عن رغبة ملحة كانت لدى الشخصيّة في إنهاء حياتها، وهو ما يدلّ دلالة قاطعة على الاكتئاب الشديد الذي تعانيه؛ لمرورها بأحداث ومواقف صعبة في حياتها، واستمرار هذه المواقف في

الحدوث معها، فتأزم وضعها النفسي وعانت صراعاً داخلياً مستمراً، وقد أوصلها هذا الأمر إلى أن تفقد الأمان والثقة في كل من حولها، مما دفعها إلى قرار الانتحار والاعتداء على الذات (Auto-agressivite) لإنهاء حياتها بهذه الطريقة المفجعة؛ لكي تتخلص من الاضطرابات النفسيّة الحادة التي تعانيها، والتي جعلتها تتعرض لأفكار وهواجس سلبية سيطرت عليها ولم تعد قادرة على مقاومتها.

وأظهرت لغة الجسد في نص آخر من الرواية ذاتها حالة الانهيار والاستسلام وشعور الإنسان بالضياع بعد حدوث مواقف تفوق قدرة تحمله، وتخرج عن سيطرته: "عرفتُ حينها انه مات. جلست حينذاك مسندة ظهري على الحائط، وانتظرتهم؛ ليتلوا الخبر لي. كان المسلّحون يدخلون الفناء، ويخرجون دون توقف. كانوا فرحين أن زوجي قام بعملية انتحارية" (بدر، 2015م، 126). أبانَ إسناد الشخصيّة ظهرها إلى الحائط حالة الانهيار التي أصابتها عند معرفتها بموت زوجها، إذ شكل هذا الخبر صدمة نفسيّة فقدت على أثره توازنها. وعبرت هذه الحركة الجسدية أيضاً عن ضياع الشخصيّة، وحيرتها بعد انتحار الزوج، إذ لم يبقَ لها أي شخص تركن إليه، ولم تبقَ لها أسرة تلجأ إليها، فشعرت بالحيرة، وانشغلت في وضعها المأساوي الذي وصلت إليه، وتاهت في الأمر الخطير الذي حدث معها، وتوجست من مستقبلها المجهول بعدما فعله زوجها. وقد كانت الشخصيّة تفكر بالمأزق الذي وُضعت فيه؛ لأنها تعيش بين متشددين دينياً، وقد خسرت زوجها الذي انتحر دفاعاً عن الدين - بحسب رأيه ومعتقده المنحرف- بسبب غرس المتطرفين لأفكارهم الظلاميّة في ذهنه، مما حدا به إلى التضحية بنفسه، وقد أدى هذا الفعل المتهور إلى ضياع زوجته في أفكارها وهواجسها، وقلقها مما يمكن أن يفعله المتطرفون بها بعد رحيل زوجها.

فيما بينت لغة الجسد تأثير الصدمات النفسية التي يتعرض لها الأشخاص في تصرفاتهم، وتبقى مؤثرة فيهم لسنوات عدة؛ بسبب الظروف الصعبة التي تؤدي بهم إلى فقدان أهم الأشخاص في حياتهم بطريقة مؤلمة، كما في رواية (أبناء وأحذية) لمحسن الرملي: "... بديا سعيدين في الصورة، ملتصقي الكتفين، مبتسمين للكاميرا... اجتاحني غضب عارم ووجدت نفسي أدور حول نفسي في الحجرة المغلقة، أركلُ الأثاث والجدران بقدمي، أضربها بقبضتي، أدُقُّ بجبهتي عليها، أشدُّ شعري، أبصق وأشتم بصوت مسموع" (الرملي، 2019م، 75). أشارت لغة جسد (أمير) - عن طريق عدم الاستقرار على حالة واحدة أو في مكان محدد من الغرفة- إلى شخص يعاني أزمة نفسيّة قوية انتهت به إلى هذا الوضع، فدورانه في الغرفة يدلّ على الاضطراب النفسي والتشتت الذهني. أما ركل الأثاث والجدران باليد والقدم، فيؤكد الانفعال والغضب الشديد الذي سيطر عليه. وإنّ الدموع ونوبات الغضب وضرب الباب أو ركل الأشياء الأخرى هي من علامات الغضب (ينظر: نيرنبرج، وكاليرو، وجرايسون، 90). أما ضربه لجبهته بيده، فيشير للصراع الداخلي الذي يعانيه، والشعور بتعرضه للظلم والخديعة من طليقته وأستاذه، فهو بهذه الحركة يوبخ نفسه على عدم إدراكه

هذا الأمر من قبل ويقر بأنّه كان ساذجاً وغبياً. فيما دلّ شد الشعر على التوتر والقلق وعلى المشاعر السلبية التي يكنها (أمير) للطرف الآخر، وإظهار الغضب بعد أن رأى الصورة. أما بصاقه واطلاقه للشتائم بصوت واضح ومسموع، فيدلّ على أنه كان يحاول إخراج ما تراكم في داخله من آلام ومشاعر سلبية بقيت مكبوتة في نفسه لسنوات عدة. إنّ هذه المشاكل النفسيّة التي عاناها كانت بسبب ما تعرّض له في بلاده من فقدانه لابنته، واضطراره إلى دفنها بعلبة كارتون الأحذية، وبطريقة غير لائقة بميت عزيز على القلب؛ لأنه كان عليه الرجوع لوحدته العسكرية أو يواجه تهمة الهروب من الحرب وعقوبة الإعدام، وهي الحادثة التي كانت سبباً في انفصاله عن زوجته، وقد أدت هذه الحوادث المتتالية إلى تعرض (أمير) لحالة نفسية صعبة وصدمة كبيرة، ترك على أثرها البلاد بعد معاناة دامت لمدّة ليست بالقليلة.

بيّن توظيف لغة الجسد في هذه النصوص الروائية الأزمات النفسيّة التي تعانيها الشخصيّات الروائية باختلاف أنواعها، إذ إنّ هذه الأزمات تختلف بحسب اختلاف نمط الشخصيّة، وسلوكها، والظروف النفسيّة التي مرت بها، والبيئة التي تعيش فيها والتي قد تكون المسبب الأساسي في تأزم وضع الشخصيّة، وتدهور حالتها النفسية، وإيصالها إلى مراحل شديدة الخطورة، التي قد تصل إلى مرحلة الاكتئاب، ومن ثم الانتحار وإيذاء النفس. إنّ محاولة الروائي الاهتمام بهذا الجانب النفسي في الروايات، والتركيز عليه بصورة مكثفة وكبيرة، ولاسيما في الروايات التي كُتِبت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003؛ يهدف إلى إظهار تأثيره السلبي في المجتمع، والأثر السلبي الكبير لهذه الأحداث والأزمات في الحالة النفسيّة.

المصادر:

1. بدر، علي (الكافرة- رواية)، ط1، منشورات المتوسط، إيطاليا، 2015م.
2. بوييز، كارولين (لغة الجسد: تعرف على الآخر من خلال لغته الأكثر صدقاً)، ترجمة: مها فخري قنبر، ط1، شعاع للنشر والعلوم، حلب- سوريا، 2023م.
3. حسين، هدية (ريام وكفى- رواية)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2014م.
4. الدليمي، لطفية (حديقة حياة- رواية)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2004م.
5. الدليمي، لطفية (سيدات زحل- رواية)، ط3، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمّان، 2015م.
6. رحيم، سعد محمد (فسحة للجنون- رواية)، ط1، دار سطور، بغداد، 2018م.
7. الرملي، محسن (أبناء وأحذية- رواية)، ط2، دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، بغداد، 2019م.
8. الرملي، محسن (تمر الأصابع- رواية)، ط4، دار المدى، بغداد، 2015م.
9. شهيد (سارق العمامة- رواية)، ط1، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، 2017م.
10. صخي، عبد الله (خلف السدة- رواية)، ط1، دار المدى، بغداد، 2008م.
11. الصقر، مهدي عيسى (بيت على نهر دجلة- رواية)، ط1، دار المدى، بغداد، 2006م.

12. طالب، دُنى (النقطة الأبعد- رواية)، ط1، دار المدى، بغداد، 2000م.
13. عباس، د. فيصل (أساليب دراسة الشخصية)، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان، 1990م.
14. عبد الهادي، أحلام فتحي (لغة الجسد)، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، 2015م.
15. عزّام، محمد (شعرية الخطاب السردي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.
16. عكاشة، حمزة (لغة الجسد: اللغة الصامتة)، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، 2016م.
17. غالي، دُنى (عندما تستيقظ الرائحة- رواية)، ط1، دار المدى، بغداد، 2006م.
18. غالي، دُنى (منازل الوحشة- رواية)، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2013م.
19. كجه جي، إنعام (الحفيدة الأميركية- رواية)، ط2، دار الجديد، بيروت، 2009م.
20. المالكي، رسلي (الانهيار- رواية)، ط2، دار بابل للطباعة والنشر والتوزيع، 2015م.
21. نافارو، جو (قاموس لغة الجسد)، ط1، مكتبة جرير، 2021م.
22. نافارو، وكارلينز، جو، ود. مارفين (ما يقوله كل جسد)، ط2، مكتبة جرير، 2010م.
23. النعيمي، محمد أنور إسماعيل (الاتجاه النفسي في نقد السرد العربي الحديث- رسالة ماجستير)، كلية التربية (ابن رشد)- جامعة بغداد، 2005م.
24. نوري، شاكر (نافذة العنكبوت- رواية)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 2000م.
25. نيرنبرج، وكاليرو، وجرايسون، جيراراد آي، وهنري إتش، وجابرييل (كيف تقرأ شخصاً مثل الكتاب)، ط1، مكتبة جرير، 2020م.

Sources:

1. Badr, Ali (Al-Kafra _ Al-Fayra) , T1, Mediterranean Publications, Italy, 2015.
2 Boyes, Caroline (Body Language: Learn the Other Through His Most Honest Language), Translation: Maha Fakhri Kanbar, T1, Beam Publishing and Science, Aleppo _ Syria, 2023.
3 Hussein, Gift (Riam Kafa _ Novel), T1, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 2014.
4 Delimi, Latifiyah (Hyatt Park _ Novelty), T1, Public Cultural Affairs House, Baghdad, 2004.
5 Delimi, Latifiyah (Saturn Ladies _ Novel), T3, Space House for Publishing and Distribution, Oman, 2015.
6 Rahim, Saad Mohammed (Fathah Mad _ Novel), T1, Dar Sattar, Baghdad, 2018.
7 Al-Ramli, Mohsen (Sons and Shoes _ Fiction), T2, Al-Mra 'a House for Media, Culture and Arts, Baghdad, 2019.

8 Shahid (Turban Thief _ Novel), T1, Sattar Publishing and Distribution House, Baghdad, 2017.
9 Sakhi, Abdullah (Behind Al-Saddah _ Al-Fayriyah), T1, Dar Al-Mada, 2008. '
10 Al-Saqr, Mahdi Issa (a house on the Tigris River _ Fayriyah), T1, Dar al-Mada 'a, Baghdad, 2006.
11 Talib, Dawnah (Far Point _ Fiction), T1, Dar al-Mada 'a, Baghdad, 2000.
12 Abbas, D. Faisal (Personal Study Methods), T1, Dar al-Thawr al-Lebanon, Beirut _ Lebanon, 1990.
13 Abdel Hadi, Ahlam Fathi (body language), T1, Academic Book Center, Oman, 2015..
14 Azam, Mohammed (Poetry of narrative rhetoric), Arab Writers' Union publications, Damascus, 2005.
15 Akasha, Hamza (Body Language: Silent Language), T1, Knowledge Treasures Publishing and Distribution House, Oman, 2016.
16 Gali, Dawnah (When The Smell Wakes Up _ Novel), T1, Dar Al-Mada 'a, Baghdad, 2006
17 Gali, Douna (Houses of the Beast _ Novel), T1, Enlightenment Printing & Publishing House, Beirut- Lebanon,2013.
18 Kajj Ji, Inam (American granddaughter _ novel), T2, Dar al-Jadeed, Beirut, 2009.
19 Al-Maliki, Russley (Breakdown _ Novel), T2, Babylon House Printing, Publishing and Distribution, 2015.
20 Navarro, Joe (dictionary of body language), T1, Greer Library, 2021.
21 Navarro, Carlins, Joe, and D. Marvin (What Every Body Says), T2, Greer Library, 2010.
22 Al-Naimi, Muhammad Anwar Ismail (Psychological orientation in criticism of the modern Arab narrative Master's thesis) Faculty of Education (Ibn Rushd) Baghdad University, 2005.
23 Nouri, Shaker (Spider Window _ Novel), T1, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut _ Lebanon, 2000.
24 Nernberg, Calero, Grayson, Gerard Eye, Henry H. Gabriel (How to read someone like a book), T1, Greer Library, 2020.